الصلة بين العلم والدين
وتأثيرهما في الفرد والمجتمع عند النورسي[1]

الدكتور صالح نعمان

جامعة الأمير عبد القادر

المقدمة

يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[2]، ورؤية هذه الآيات في الآفاق والأنفس للتحقق من حقائق الدين الإسلامي الحق على أنه الحق الذي يستلزم الاعتراف به والالتزام بتعاليمه المحققة للسعادة البشرية (وئاما وسلاما)، هذه الرؤية، تتم بالدليل البرهاني، ولا يمكن إدراك هذا الدليل وتحصيله إلا بالنظر والبحث في آياته سبحانه وتعالى، وهذا الأخير لا يتحقق إلا بنور المعرفة المنبثة في خلقه جل جلاله، قال جل جلاله:﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾[3]؛ وقد ألحق المولى عزّ وجلّ حقائق الدين الإسلامي بعدد لا يحصى من النتائج العلمية التي يسهل التثبت من صحتها في ضوء المعارف والنظريات والحقائق العلمية الحديثة وبالتالي إعطاء البرهان الكافي على صحة الدين الإسلامي.

---

1 - بديع الزمان سعيد ميرزا النورسي ولد1877 وتوفي 1960م

2 — فصلت: 53.

3 — سورة النساء: 174.

فكان الله تعالى هو مصدر هذه المعرفة الإنسانية المعبرة عن المعرفة المطلقة المعرفة الإلهية بنور الله الذي أودعه في الإنسان والكون. إذ يقول تعالى: **﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ﴾**[1]، وقال: **﴿عَلَّمَ الإنسان مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾**[2].

والنص الإلهي المباشر (النص الديني) يتواءم مع الاختلاف الواسع بين الثقافات المختلفة للأفراد والمجتمعات المتلقية له.

هذه طبيعة البرهان الإلهي في صياغته البشرية متنامي ومتعدد ومرتقي إلى الحق لتحقيق الشهود فيطمئن القلب وتقر العين ويرتقي الإيمان.

و علة ذلك عند النورسي أن: «**ضياء القلب هو العلوم الدينية، ونور العقل هو العلوم الحديثة، وبامتزاجهما تتجلى الحقيقة، فتتربى همة الطالب وتعلو بكلا الجناحين. وبافتراقهما يتولد التعصب في الأولى، والحيل والشبهات في الثانية**»[3]. وهو ما تجاوز القول والفكرة إلى العمل الفعلي في واقع حياته وجهاده في سبيل إصلاح المجتمع الإسلامي منهجا وموضوعا.

وعليه يتحقق القاسم المشترك بين الناس على اختلاف مللهم ولغاتهم، الموصل إلى التعارف والتعاون البشري من حياة وئام وسعادة في هذا الكون وهذه الحياة الدنيا. مصداقا لقوله تعالى:**﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾**[4].

---

1 — الشعراء: 132.

2 — العلق: 05.

3 — النورسي: صيقل الإسلام، ص 428.

4 – الحجرات13.

ومعنى هذا أن النظر في خلق الله تعالى واكتشاف أسرار الكون ومعرفة منافع الموجودات ليس لذاته، في عقيدتنا الإسلامية، ولكن لمعرفة الحق تبارك وتعالى وصدق هذا الدين القيم الذي ارتضاه لعباده، منهج حياة يتجاوز به المشاكل التي يعاني فيها.

فإذا عرفنا طبيعة البرهان وغايته وحقيقة (الآفاق والأنفس)، كيف نحقق هذا البرهان ونلتمس تلك الغاية؟

إن ذلك لا يكون إلا بنور الله تعالى الذي نور به الكون والنفوس، فـ:﴿**اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَ شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾[1]، وهذا ما سعى إلى تحقيقه وتجسيده في الواقع العلامة بديع الزمان سعيد النورسي في رسائل النور فكانت نورا على نور، لوجود بعض الخصائص فيها، منها:

1- إنها تهدف إلى توجيه الإنسان إلى الله سبحانه وتعالى وتقريبه منه.

2- إنها تتناول الإنسان بجميع جوانبه المادية والمعنوية، وتذكر المقاييس التي تؤدي إلى سعادة الدنيا والآخرة.

3- بدلاً من تلقين اليأس والقنوط فهي تنفث على الدوام الشوق إلى العمل.

4- لفت الأنظار إلى أن جميع الموجودات التي تحيط بالإنسان وكل موجودات الكون مخلوقة لغاية ولهدف، وكذلك إلى الحكم البديعة للخلق والمصاغة بموازين حساسة ومقاييس دقيقة وذلك لكي يتمزق ستار الألفة من إمام الأنظار.

---

1 — النور: 35.

5- تقريب حتى أشمل الحقائق الإسلامية إلى العقول وذلك عن طريق ضرب الأمثـــال وجعلها سهلة لا ترهق الأذهان.

6- عند تبليغ الحق والحقيقة لا يقوم المؤلف بتوجيه الخطاب إلى الغير بل يوجهـــه إلى نفسه، أي وجود أسلوب يتسم بالصدق وبالنزاهة.

7- كون هذه المؤلفات مرآة صادقة لحقائق القرآن.

إذ يقول مثلا مبينا التعاون والانسجام بين الكائنات الدال على الحكمة من خلقهـــا ومنهج التعلم منها تلك القيم: "موجودات الكون بأنواعها المختلفة تتعاون فيمـــا بينـــها تعاونا وثيقا ويسعى كل جزء منها لتكملة مهمة الآخر وكأنها تمثل بمجموعهـــا وأجزائهـــا تروس معمل بديع ودواليبه الذي يشاهد فيه هذا التعاون بوضوح. فهذا التـــساند وهـــذا التعاون بين الأجزاء وهذه الاستجابة في إسعاف كل منها لطلب الأخر، وإمداد كل جزء للجزء الآخر، بل هذا التعانق والاندماج بين الأجزاء، يجعل من أجزاء الكون كله وحدة متحدة تتعاصى على الانقسام والإنفكاك، يشبه في هذا وحدة أجزاء جسم الإنسان الذي لا يمكن فك بعضها عن البعض الآخر"[1] فهذا التعاون والتساند والتجـــاوب والترافـــق والتعانق الواضح على وجه الكون إنما هي أختام كبرى وبصمات ســـاطعة للتوحيـــد، بالأخذ بها تتجسد في المجتمع البشري.

وهذه الغاية يوضحها لنا العارف بالله ابن عطاء الله السكندري في حكمته الرابعة عشرة حيث يقول: «الكون كله ظلمة وإنما أناره ظهور الحق فيه، فمن رأى الكون و لم يشهده فيه أو عنـــده أو قبله أو بعده فقد أعوزه وجود الأنوار وحجبت عنه شموس المعارف بسحب الآثار».

1 - محمد سعيد بديع الزمان النورسي: اللمعات، ص 540

أ ــ **نظرية المعرفة:** يعتبر النورسي في هذه القضية امتدادا لأستاذه أبي حامد الغـــزالي، إلا أنه لم يتوقف عند حدود كلام الغزالي — الذي أشرت إليه سابقا-، فلقد طور بعض الأفكار، ودلل على بعض الحقائق، وأسند كلام الغزالي إلى دعامات قوية، أتيحت له من حيث اطلاعه على العلوم الكونية، واستفادته من الدراسات القرآنيـــة الـــسابقة عليـــه. ويتجلى اتجاهه التأصيلي في الاستعانة بالعلوم الكونية، (في الآفاق والأنفـــس) في علـــم العقيدة، في دعوته الملحة إلى الجمع بين العلوم الكونية الحديثة والعلـــوم الـــشرعية، لأن: «ضياء القلب هو العلوم الدينية، ونور العقل هو العلوم الحديثة، وبامتزاجهمـــا تتجلـــى الحقيقة، فتتربى همة الطالب وتعلو بكلا الجناحين. وبافتراقهما يتولد التعصب في الأولى، والحيل والشبهات في الثانية»[1]. وهو ما تجاوز القول والفكرة إلى العمل الفعلي في واقـــع حياته وجهاده في سبيل إصلاح المجتمع الإسلامي منهجا وموضوعا.

فقد طالب من السلطان عبد الحميد بفتح المدارس التي تعلم العلوم الكونية الحديثـــة، بجانب العلوم الإسلامية، وسعى إلى تأسيس مدرسة الزهراء التي تقوم على مزج العلـــوم الكونية الحديثة ودرجها مع العلوم الدينية[2].

وهي محاولة لربط العلوم بمصدرها وهو الوحي، إذ أن جميعها تدل في انتظام واتفـــاق على وحدانية الخالق سبحانه وتعالى، وعلى دليل عنايته سبحانه بالخلق، وانتظام هذا الخلق واتساقه على درجة الكمال والشمول. ومن هنا أمكن الاستعانة بهذه العلوم والاســـتفادة بها في بناء الأدلة على وجود البارئ سبحانه ووحدانيته وسائر أركان الإيمان ومسائله فلا تعارض بين العلم والدين عنده بل يرى أن علم الكلام في حاجة إلى مقـــدمات علميـــة

---

1 — النورسي: صيقل الإسلام، ص 428.

2 — انظر، محسن عبد الحميد: النورسي متكلم العصر الحديث، ص13.

للوصول إلى تلك الغاية المنشودة والمقصد أساسي وهذه المقدمات لا تتماشى ولا تتحقق إلا من خلال النظر في ملكوت الله سبحانه وتعالى.

ب ــ منهجه في الاستدلال على العقيدة الإسلامية بثمرات العلوم

سعى النورسي من استعماله لهذا المنهج إلى تحقيق غاية عظمى وهي لإثبات الحقيقة الكبرى (معرفة الله سبحانه وتعالى) من أجل تحقيق العبودية الكاملة له جل جلاله.

وكان الدافع إلى ذلك منطلقه في التسلح بسلاح العلوم الكونية الحديثة في علم العقيدة، أربعة دوافع ومنطلقات:

أولها: تحديات المدنية الغربية ضد الإسلام وعبثها بالعلوم.

ثانيها: تطور العلوم الكونية الحديثة وإنجازاتها الرائعة.

ثالثها: دعوة القرآن الكريم إلى معرفة الله تعالى بالمعرفة الكونية ومعرفة الكون بهداية الوحي وذلك على أول ما نزل من القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**﴾[1].

– ورابعها أن الفطرة أو الوجدان مستند الأدلة العلمية إذ الوجدان لا ينسي الخالق مهما عطل العقل نفسه وأهمل عمله. فالوجدان يبصر الخالق ويراه ويتأمل فيه ويتوجه إليه فكل مولود يولد على الفطرة وبن التوحيد: ﴿**بَلْ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ**﴾[2]. ومن الكون يستمد الأنوار الإلهية

---

1 ــ العلق: 1.

2 ــ الروم: 29.

وتجليات الكمالات الربانية بنور معرفة الخالق الكريم لينشرها ويبثها في وجدان كل إنسان متيقظ متفتح دائما مهما غفل العقل[1].

وتتجلى معالم منهجه هذا من تقريره لجواب على سؤال طرحه بعض تلاميذه فقد سألوه أن يعرفهم بخالقهم لأن مدرسيهم لا يذكرون الله لهم، فكان جوابه "إن كل علم من العلوم التي تقرأونها يبحث عن الله دوما، ويعرف بالخالق الكريم بلغته الخاصة فاصغوا إلى تلك العلوم دون المدرسين. فمثلا لو كانت هناك صيدلية ضخمة في كل قنينة من قنانيها أدوية ومستحضرات حيوية وضعت فيها بموازين حساسة وبمقادير دقيقة كما إنها ترينا أن وراءها صيدليا حكيما وكيميائيا ماهرا، كذلك صيدلية الكرة الأرضية التي تضم أكثر من أربعمائة ألف نوع من الأحياء — نباتا وحيوانا — وكل واحد منها في الحقيقة بمثابة زجاجة مستحضرات كيمياوية دقيقة، وقنينة مخاليط حيوية عجيبة فهذه الصيدلية الكبرى ترى حتى للعميان صيدليها الحكيم ذا الجلال، وتعرف خالقها الكريم سبحانه بدرجة كمالها وعظمتها، قياسا على تلك الصيدلية التي في السوق، على وفق مقاييس علم الطب الذي تقرؤونه.

ومثلا هب أن ملايين المصابيح الكهربائية تتجول في مدينة عجيبة دون نفاد للوقود لا انطفاء؛ ألا ترى بإعجاب وتقدير أن هناك مهندسا حاذقا، وكهربائيا بارعا لمصنع الكهرباء، ولتلك المصابيح؟ فمصابيح النجوم المتدلية من سقف قصر الأرض وهي أكبر من الكرة الأرضية نفسها بألوف المرات — حسب علم الفلك — وتسير أسرع من انطلاق القذيفة من دون أن تخل بنظامها أو تتصادم مع بعضها مطلقا ومن دون انطفاء، ولا نفاد وقود على وفق ما تقرؤونه في علم الفلك.

---

1 — النورسي: المثنوي العربي النوري، 430 — 431.

هذه المصابيح تشير بأصابع من نور إلى قدرة خالقها غير المحـــدودة.. . (واللانهائيـــة) فهذا الكون العظيم وما فيه من مصابيح مضيئة، وقناديل متدلية يبين بوضوح — ســـلطان هذا المعرض العظيم والمهرجان الكبير، ويعرف منوره ومدبره البديع وصـــانعه الجليـــل، بشهادة هذه النجوم المتلألئة، ويحببه إلى الجميع بالتحميد والتسبيح والتقديس بل يسوقهم إلى عبادته سبحانه»[1]، فهدف العلوم الكونية النهائي هو تحقيق العبودية الكاملة لله تعالى، بتحقيق الأبعاد المعرفية والعملية للعقيدة الإسلامية من حيث تصورها الـــصادق للكـــون والحياة والإنسان.

وعليه فمنهجه العلمي في الاستدلال على العقيدة يقوم على ركيزتين أساسيتين:

الأولى الجمع بين العلوم الكونية والعلوم الدينية، والثانية الاعتصام بالمنـــهج القـــرآني، فكانت العلوم الكونية بتوجيه وترشيد من القرآن الكريم خادمة لعلم الكلام بإمداده بمادة أدلته الكونية على العقائد تثبيتا للإيمان ودفعا للشبه.

وهذا يعني أن عملية الاستدلال والدعوة الإسلامية تقوم على تأصيل العلوم وتوجيهها إسلاميا في قالب علم عقيدة جديد يتناسب والعقلية المعاصرة الجديدة.

ج- الأدلة (أو تطبيق المنهج)

ومن أهم الأدلة التي استخدمها النورسي في منهجه العلمي هذا دليل العناية والغايـــة ودليل الاختراع والنظام، على وجود الله تعالى ووحدانيته، وله أدلة على كمال صـــفات الباري تعالى ومجلى أسمائه الحسنى، كما استدل على اليوم الآخر والنبوة.

1 — النورسي: الشعاعات، ص 257.

فدليل العناية والغاية مثلا يقول فيه: «فجميع الآيات الكريمة التي تعد منافع الأشياء وتذكر حكمها، إنما هي نساجة لهذا الدليل، ومظاهر لتجلي هذا البرهان، وزبدة هذا الدليل هي:

إتقان الصنع في النظام الأكمل في الكائنات وما فيه من رعاية المصالح والحكم، يدل على قصد الخالق الحكيم وحكمته المعجزة، وينفي نفيا قاطعا وهم المصادفة والاتفاق.

.. . إذ كما أن القرآن يأمرنا بالتفكير في المخلوقات، فإنه يقرر في الأذهان هذا الدليل- دليل العناية — بتعداده الفوائد والنعم، ومن بعد ذلك الإحالة إلى العقل في خواتيم الآيات وفواصلها، فينبه العقل ويحرك الوجدان في أمثال هذه الآيات ﴿أولا يعقلون﴾، ﴿أفلا تتذكرون﴾، ﴿فاعتبروا﴾ [1]، أو إحالة العقل إلى إدراك عظمة الحق سبحانه وتعالى. فمثلا يقول النورسي- رحمه الله — في تفسيره لقوله تعالى: ﴿**لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ**﴾[2]: لا يريد القرآن أن يبين استخراج الحديد تدريجيا من المخزن الصغير — الأرض — بل يريد أن يبين أن تلك النعمة العظمى قد أنزلت من الخزينة الكبرى للكون مع كرة الأرض، وذلك لإظهار أن الحديد أكثر ضرورة لخزينة الأرض، بحيث أن الخالق الجليل عندما فصل الأرض من الشمس أنزل معها الحديد ليحقق أكثر حاجات البشر ويضمنها[3]، وهو عينه ما عبر عنه أبو الوليد ابن رشد في تعريفه لدليل العناية بقوله: «إن جميع الموجودات التي

---

1 — النورسي: المثنوي العربي النوري، ص429.

2 — سورة الحديد 25.

3 — النورسي: اللمعات، ص 423 - 424.

هنا موافقة لوجود الإنسان»[1]، وإننا كلما تعمقنا في معرفة منافع الموجودات ازددنا معرفة بالله تعالى[2].

- **وأما دليل الاختراع والنظام** فكما يستدل به على وجود الله تعالى يستدل به على وحدانيته تعالى كذلك، بالإشارة إلى نظام الوحدة الذي تنتظم به موجودات الكون، فكل أنواع الموجودات على اختلافها يحكمها نظام قائم على التعاون والتساند والتجاوب والتعانق، تكامل كلي بين مهام كل جزء منها، بحيث تمثل بمجموعها وأجزائها وحدة واحدة كوحدة أجزاء جسم الإنسان التي يصعب انقسامها وتفككها «إن هذه السمات الواضحة على وجه الكون إنما هي أحكام كبرى، وبصمات ساطعة للتوحيد»[3].

- **وأما أسماء الله الحسنى** فيستدل عليها من خلال كمال العلوم نفسها، ذلك أن كل علم من العلوم يستند إلى اسم من أسماء الله الحسنى، وفي هذا الاستناد يجد كل منها كماله، ويصبح حقيقة فعلا، وإلا فهو ظل باهت ناقص مبتور ومشوش[4]. ودليله على ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿**وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾[5]، وهذه الأسماء هي أسماء الأشياء مخلوقات الله تعالى، وحقيقتها تستند إلى الأسماء الإلهية الحسنى، والإتقان الموجود في الأشياء يستند إلى اسم من الأسماء، بل يمكن مشاهدة آثار تجلي عشرين اسم من الأسماء على ظاهر كل ذي

---

1 — أبو الوليد ابن رشد: مناهج الأدلة.

2 — المرجع نفسه.

3 — النورسي: اللمعات، ص540 - 552.

4 — النورسي: الكلمات، ص290.

5 — البقرة: 31.

حياة فحسب[1]، وكل علم هو تكشيف وتعريف لهذه الكائنات بما يسمى ويكتمل فكان بدوره مستند إلى اسم أو أكثر من أسماء الله الحسنى.

فعلم الطب مهارة ومهنة، وحقيقته الاستناد إلى اسمه تعالى «الشافي»، فيصل الطب إلى كماله، ويصبح حقيقة فعلا بمشاهدة التجليات الرحيمة لاسم «الشافي» في الأدوية المبثوثة على سطح الأرض الذي يمثل صيدلية عظمى.

والعلوم التي تبحث في حقيقة الموجودات كالفيزياء والكيمياء والنبات والحيوان، هذه العلوم التي هي حكمة الأشياء يمكن أن تكون حكمة حقيقية بمشاهدة التجليات الكبرى لاسمه تعالى «الحكيم» جل جلاله في الأشياء. وهي تجليات تدبير، وتربية، ورعاية، وبرؤية هذه التجليات في منافع الأشياء ومصالحها تصبح تلك الحكمة حكمة حقا. أي باستنادها إلى ذلك الاسم وإلى ذلك الظهير تصبح حكمة فعلا[2].

هذا هو منهج الدفاع الاستراتيجي للنورسي من خلال التأمل في الطبيعة، به يحيا الدور الأساسي والوظيفة المفصلة لعلم التوحيد بعدما فقدها في عصور الانحطاط، من خلال استثمار منتجات العلوم الكونية وإنجازاتها التكنولوجية، والممثل في وقف تحقيق العدو للمزيد من الأهداف وإيقاف مسلسل الهزيمة عند هذا الحد الذي وصلت إليه تمهيدا للهجوم المضاد. . . عليه حول الشيخ النورسي علم التوحيد الإسلامي من مجرد مناقشات وعرض أدلة فلسفية مجردة جافة، إلى منهج علمي يعتمد على حقائق العلم وبساطة الأسلوب واحتوائه على الحركة والحياة، بحيث يصبح تيارا اجتماعيا عارما يلائم مختلف

---

1 — النورسي: الكلمات، ص 749.

2 — المرجع نفسه، ص 290-291، وانظر، زياد دغامين: «إسلامية المعرفة في ضوء إعجاز القرآن الكريم كما يصورها النورسي»، ص 63-65، وانظر كذلك، عماد الدين خليل: الموضوع الجمالي الطبيعة والعالم والكون، ص 155.

المستويات الثقافية والفكرية وليست قاصرة على طلاب العلوم الفلسفية وحدهم. إنه منهج قرآني واقعي أصيل[1].

د-آثر هذا المنهج في الفرد والمجتمع: يقول شيخنا النورسي:« ضياء القلب هو العلوم الدينية، ونور العقل هو العلوم الحديثة، وبامتزاجها تتجلى الحقيقة، فتتربى همة الطالب وتعلو بكلا الجناحين. وبافتراقهما يتولد التعصب في الأولى، والحيل والشبهات في الثانية»[2].

إن بامتزاج ضياء القلب ونور العقل تتجلى حقيقة الوجود وهي معرفة الحق سبحانه وتعالى فتتربى همة الإنسان وتعلو بكلا الجناحين، فيكتسب القدرة على الصمود والتحدي والترقي نحوى الله تعالى لتحقيق السعادة في الدارين. إذ من شأن ذلك الامتزاج، أن يكون أساساً، للشخصية الإسلامية، وقواعد يشاد عليها وجودها، وتبنى عليها كل مظاهر تحققها وتجسدها. ولكن ما هي حقيقة هذا الإنسان وقيمته؟

يقول النورسي: "نعم أيها الإنسان! انك من جهة جسمك النباتي ونفسك الحيوانية جزء صغير وجزئي حقير ومخلوق فقير وحيوان ضعيف تخوض في الأمواج الهادرة لهذه الموجودات المتزاحمة المدهشة. إلاّ أنك من حيث إنسانيتك المتكاملة بالتربية الإسلامية المنورة بنور الإيمان المتضمن لضياء المحبة الإلهية سلطانٌ في هذه العبدية.. وانك كليٌّ في جزئيتك.. وانك عالمٌ واسع في صغرك.. ولك المقام السامي مع حقارتك فأنت المشرف ذو البصيرة النيرة على هذه الدائرة الفسيحة المنظورة، حتى يمكنك القول: إن ربي الرحيم

1ـــانظر حسين عاشور، الأستاذ سعيد النورسي والدفاع الاستراتيجي من خلال التأمل في الطبيعة، ص 181

2 ـــ النورسي: صيقل الإسلام، ص 428.

قد جعل لي الدنيا مأوىً ومسكناً، وجعل لي الشمس والقمر سراجاً ونوراً، وجعل لي الربيع باقة وردٍ زاهية، وجعل لي الصيف مائدة نعمة، وجعل لي الحيوان خادماً ذليلاً، وأخيرًا جعل لي النبات زينة وأثاثا وبهجة لداري ومسكني.

وخلاصة القول: إنك إذا ألقيت السمع إلى النفس والشيطان فستسقط إلى اسفل سافلين وإذا أصغيت إلى الحق والقرآن فسترتقي إلى أعلى عليين وكنت "أحسن تقويم" في هذا الكون"[1]. ويستمر بديع الزمان: "إن الإنسان الذي يملك في رأسه عقلاً لا يفرح في أمور الدنيا بما كسبه، ولا يحزن بما خسره أو فقده. ذلك لان الدنيا ليست ثابتة بل هي ماضية، والإنسان يمضي معها. فأنت أيضا مسافر. انظر هاهو شفق الشيخوخة قد ظهر على الشعر فوق أذنك وغطى الكفن الأبيض أكثر من نصف رأسك. أما الأمراض التي بدأت تتوطن في جسدك فهي طلائع الموت، ومع ذلك فان الحياة الأبدية أمامكم. فالراحة واللذة التي ستتذوقونها في حياتكم الأبدية مرتبطة بسعيكم في حياتكم الفانية وأنت غافل عن حياتك الأبدية. فانتبه واستيقظ قبل أن توقظك سكرات الموت"[2].

فقيمة الإنسان تسمو بمقدار توجهه لله تعالى ذلك ((إن أكرمكم عند الله اتقاكم)) فيتحقق التعارف والتعاون، فيكون التمكين والأمن والتقدم سمة هذا المجتمع الإسلامي المجتمع الإنساني.

ويتجلى ذلك عند الإمام بديع الزمان سعيد النورسي في بعض هذه المظاهر:

---

1 - بديع الزمان سعيد النورسي: "الكلمات" ص: 371.

2 -- بديع الزمان سعيد النورسي: "المثنوي العربي النوري" ص: 119

1-**ترقية الإيمان وتحقيق محاسنه:** لما كانت غاية كل من العلم والدين معرفة الحقيقة وحقيقة الحقائق (الله تعالى) لتحقيق الإيمان في النفوس وترقيته نجد بديع الزمان "نبين من آلاف محاسن الإيمان خمسة محاسن فقط في خمس نقاط" بتجسيدها يرتقي الإنسان ويسمو أو يحقق إنسانيته:

- **النقطة الأولى:** إن الإنسان يسمو بنور الإيمان إلى أعلى عليين. لأن الإيمان انتساب". " ذلك لأنّ الإيمان يربطُ الإنسان بصانعه الجليل، ويربطه بوثاق شديد ونسبة إليه، فالإيمان إنما هو انتساب؛ لذا يكتسب الإنسان بالإيمان قيمة سامية من حيث تجلّي الصنعة الإلهية فيه، وظهورِ آيات نقوشِ الأسماء الربانية على صفحةِ وجوده. أما الكفرُ فيقطع تلك النسبةَ وذلك الانتسابَ، وتغشى ظلمته الصنعةَ الربانية وتطمس على معالمها، فتنقُص قيمةَ الإنسان حيث تنحصر في مادّته فحسب؛ وقيمةُ المادة لا يُعتدّ بها فهي في حكم المعدوم، لكونها فانية، زائلة، وحياتُها حياةٌ حيوانيةٌ مؤقتة"[1].

- **النقطة الثانية:** أن الإيمان ينور الكائنات أيضاً، وينقذ الزمان الماضي والمستقبل من الظلمات. "كما أن الإيمان نور يضئ الإنسان وينوّرُه ويُظهر بارزاً جميعَ المكاتيب الصمدانية المكتوبة عليه ويستقرئُها، كذلك فهو يُنير الكائنات أيضاً، وينقذ القرون الخالية والآتية من الظلمات الدامسة. " **﴿الله وليُّ الذين آمَنوا يُخرجُهُم من الظُلمات إلى النّور﴾**[2] **﴿والذينَ كَفَروا أولياؤهُم الطّاغوتُ يُخرجُونَهُم من النّورِ إلى الظُلُمات﴾**[3].

---

1 - الإمام بديع الزمان، المبحث الأول، من الكلمة الثالثة والعشرين. من مجموعة الكلمات من "كليات رسائل النور". ص348.

2 - البقرة: 257

3 - البقرة: 257

– **النقطة الثالثة**: إن الإيمان نور وقوة. " كما أن الإيمان نورٌ وهو قوةٌ أيضا. فالإنسان الذي يظفر بالإيمان الحقيقي يستطيع أن يتحدى الكائناتِ ويتخلصَ من ضيق الحوادث، مستنداً إلى قوةِ إيمانه"متوكلا على الله. فالإيمان إذن يقتضي التوحيدَ، والتوحيدُ يقودُ إلى التسليم، والتسليم يُحقق التوكلَ، والتوكلُ يسهّل الطريقَ إلى سعادة الدارَين. [1]

أما إذا ترك الإنسان التوكل فلا يستطيع التحليقَ والطيرانَ إلى الجنة فحسب بل ستجذبه تلك الأثقالُ إلى أسفلَ سافلين.

– **النقطة الرابعة**: إن الإيمان يجعل الإنسان إنسانا حقاً، بل يجعله سلطاناً؛ لذا كانت وظيفتُه الأساس: "الإيمان بالله تعالى والدعاء إليه". بينما الكفرُ يجعل الإنسان حيواناً مفترساً في غاية العجز. وسنورد هنا دليلاً واضحاً وبرهاناً قاطعاً من بين آلاف الدلائل على هذه المسألة، وهو: التفاوتُ والفروقُ بين مجيء الحيوان والإنسان إلى دار الدنيا. نعم، إن التفاوتَ بين مجيء الحيوان والإنسان إلى هذه الدنيا يدل على أن اكتمالَ الإنسانيةِ وارتقاءها إلى الإنسانية الحقة إنما هو بالإيمان وحدَه"[2]

– **النقطة الخامسة**: أن الإيمان يقتضي الدعاء "كما أن الإيمان يقتضي "الدعاء" ويتّخذه وسيلةً قاطعةً ووساطةً بين المؤمن وربّه، وكما إن الفطرةَ الإنسانية تتلهف إليه بشدة وشوق، فان الله سبحانه وتعالى أيضا يدعو الإنسان إلى الأمر نفسه بقوله **﴿قُلْ مَا يَعْبَؤا بِكُم رَبّي لَولا دُعَاؤكُم﴾**[3] وبقوله تعالى: **﴿اُدْعوني أستَجِبْ لكُم﴾**[4].

---

1 – من "كليات رسائل النور"ص352-353

2– المرجع نفسه ص354

3 – الفرقان: 77

4 – غافر: 60

ولا يخفى على أحد، أن هذه المحاسن، التي جاءت في خمس نقاط هي قوة دافعة، تسند الضعيف أن يسقط، وتمسك القوي أن يجمح، وتعصم الغالب أن يطغى ويفجر، وتمنع المغلوب أن ييأس. إن هذه المحاسن التي جاءت من آلاف محاسن الإيمان. تملأ النفوس بالفضائل وتزكيها، وتقوّم الضمائر، وتسدد العزائم، وتزكي القلب، وتغذي العقل.

فالإيمان -كما ترى- ليس في واقع منهج بديع الزمان التربوي سوى سلوك هادف وواع، سلوك ليس خيالياً أو وهمياً، بل إنساني وعملي، يبلغ أقصى درجات الدقة في التحقق، حينما يرقى بالسالك، فتتحقق وحدة المصدر ووحدة الوجهة ووحدة السلوك، فيتحقق التكافل والتعاون الوئام.

2- **النظام لتحقيق الأمن والاستقرار (التمكين)**: يقول تعالى: **﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾**[1]. "ذلك لأن المسلم لا يشبه غيره. فإن ترك دينه وخرج من سجية الإسلام وقع في الضلالة المطلقة وأصبح فوضويا لا يمكن السيطرة عليه.. . وما دامت هذه هي الحقيقة، فإن الواجب الأول لجهاز العدالة ليس اتهامي واتهام طلاب النور، بل القيام بحماية رسائل النور وحماية طلابها لكونهم يحافظون على أعظم حق من حقوق الأمة والوطن ، فإن الأعداء الحقيقيين لهذه الأمة ولهذا الوطن يهاجمون رسائل النور ويدفعون أجهزة العدالة ـ بعد خداعها ـ لارتكاب أفظع ظلم وأفظع جناية على العدالة "[2].

---

1 -النور55

2 - النورسي: " السيرة الذاتية " ص: 386.

إن المسلم الحقيقي، والمؤمن المخلص لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يكون نصيرا للفوضى وإثارة الشغب، لأن الدين ينهى عن الفتنة وعن الفوضى نهيا قاطعا وشديدا[1].

إذن فهاهنا يوجد مفتاح السعادة والاطمئنان للأسرة وللمجتمع. إذن فعلى جميع من يرغب في استتباب الأمن في الداخل وعلى جميع المربين وعلى جميع محبي بلده وأمته من المسؤولين وأصحاب الصلاحيات أن يتأملوا المعنى الذي عبرت عنه هذه الرسالة دون أي حكم مسبق. ويرى بديع الزمان أن بعث هذه الأمة من جديد لب يكون إلا بالالتزام بالدين: "أن الدين حياة الحياة ونورها وأساسها ، إحياء الدين إحياء هذه الأمة"[2].

إن مفتاح الاستقرار والسعادة في حياة المجتمع هو الدين، ويعبر بديع الزمان عن هذا بقوله: "إن علينا أن نداوي الأمراض المعنوية وذلك بإحياء الاستقامة والصدق الذي هو أساس حياتنا الاجتماعية. أجل إن الصدق والاستقامة هم العقدة الحياتية للحياة الاجتماعية للإسلام"[3].

وهو يرى أن اليأس أي انقطاع الأمل هو أحد الأمراض المعنوية للمجتمعات. ويجب أن لا تبعد هذه المسائل عن الأنظار في التربية.

" اليأس يمنع بلوغ أي كمال. . . والذي مزق العالم الإسلامي مزقا متناثرة هو اليأس ، فهو أفظع سرطان، أي المرض الوبيل للأمم والشعوب"[4].

فإهمال الدين يؤدي إلى ظهور الفوضى ، الخوف وعدم الطمأنينة.

---

1 - المرجع نفسه: ص: 544-545.

2 - النورسي: "الكلمات "ص: 861.

3 - النورسي: "السيرة الذاتية"ص: 81.

4 - النورسي: " الخطبة الشامية " ص: 81.

3- محاربة الأعداء الثلاثة: الجهل والفقر والفرقة: لقد ذكر "سعيد القديم" هذه الأعداء الثلاثة في جميع مقالاته وكتاباته، وعبر عن أفكاره هذه بأساليب مختلفة إذ يقول مرة: "إن كل مؤمن مكلف بإعلاء كلمة الله، والوسيلة الكبرى لهذا في هذا الزمن هو التقدم المادي، ذلك لأن الأجانب يسحقوننا تحت سيطرتهم واستبدادهم المعنوي بواسطة أسلحة العلوم والصناعات، وسنجاهد نحن بأسلحة العلم والصناعة ضد الجهل والبؤس والفرقة التي هي أعدى أعداء إعلاء كلمة الله[1].

وفي مقالة أخرى يقول: "إن أعداءنا هي الجهل والبؤس والفرقة، وسنجاهد ضد هذه الأعداء بأسلحة الصناعة والمعرفة والاتفاق"[2]؛ وكل مؤمن عليه واجب إعلاء كلمة الله ، إن الرقي المادي في هذا الزمن أكبر عامل في هذا الإعلاء، ولما كان الجهل والبؤس والخلاف أفظع عدو لهذا الرقي، فإننا سنجاهد ضد هذا العدو بسيف المعرفة وبالسعي الإنساني وبالاتحاد باسم الدين. أما بالنسبة للأعداء الخارجيين فهم لكونهم مدنيين لذا يجب أن ننتصر عليهم فكريا، وسنحيل ذلك إلى براهين الشريعة"[3].

هذه بعض معالم علاقة الدين الإسلامي بالعلم وأثريهما في الإنسان عند أستاذنا النورسي من خلال رسائل النور، التي كانت تجسيدا لمقولته القاعدة: {ضياء القلب هو العلوم الدينية، ونور العقل هو العلوم الحديثة، وبامتزاجهما تتجلى الحقيقة فتتربى همة الطالب وتعلو بكلا الجناحين. وبافتراقهما يتولد التعصب في الأولى، والحيل والشبهات في الثانية}.

---

1 - ديوان الحرب العرفي: ص: 57 "أخذت هذه العبارة من مقالته التي ظهرت في الجريدة الدينية "بتاريخ مارس1909 عدد 70.

2 - المرجع نفسه: ص15

-الآثار البديعية: ص: 375. 3